فوضع الرجاء موضع التوقع ونفى من الكافر لانه انما يتوقع الحيوة بعد الموت من يؤمن بالله
ورسوله فكانه قيل بل كانوا لا يتوقعون نشورًا الذلكم لم يتحظوا بما نزل لهم ومروا بقريتهم
كما مرت ركابهم وجمالهم واكتفا بان يكون المراد بالنشور نشورًا فيه خير وسرور كنشور
المسلمين فانه يتصور النسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصور نفيها فنفيت
بان قيل انهم لا يأملون نشورًا كما يأمله المسلمون طمعًا في الثواب فان لم يؤمن ولم يعمل عمل
المؤمنين كيف يأمل مثل املهم والثالث ان الرجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة ويتصور نسبته
الى الكافر ونفيها قوله الا هزوا موضع هزوا على ان يكون هزوا مصدرا على تقدير المضاف وان كان فعلا
بمعنى مفعول فالتقدير مهزوءا به وكلمة ان في قوله ان يتخذونك نافية وفي قوله ان كان ليضلنا
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهزوا مفعول ثان والجملة المنفية جواب اذا الشرطية
قوله اهذا الذي في محل النصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل النصب على انه حال من
فاعل يتخذونك او هو قائلين ذلك والمعنى انهم لم يقتصروا على ترك الايمان وايراد الشبهات الباطلة
بل زادوا عليه الاستهزاء والاستخفاف فاذا راوه استهزؤا به ثم بلفظ هذا الاستحقار وتحقيرا
لذلك كانهم قد زعموا منزلة دنو مكانه بمقتضى جهالتهم وضلالتهم ولما ورد ان يقال مضمون الصلة
يجب ان يكون معلوم الانتساب الى ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم بعث الله رسولا
صلة مع انهم منكرون بعثه عليه السلام اجاب بانه مبني على التهكم والاستهزاء قوله ولولا في مثله
اي فيما لم يذكر جواب لولا اكتفاء بما تقدم عليها مما يدل على جوابها فقيد الحكم المطلق من حيث المعنى
دون اللفظ فان لولا مع ما دخلت هي عليه قيد لجوابها لفظا ان ذكر جوابه لفظا وان لم يذكر لفظا
لا يكون قيدا له من حيث اللفظ الا انه لما تقدم حكم مطلق يدل على جوابه وهو قوله ان كاد ليضلنا
كانت لولا قيدا له من حيث المعنى لكونه في معنى الجزاء وحكمه قوله فانه نفي لما يلزمه ويكون
الموجب له بيان لكونه كالجواب لقولهم فان قولهم يستلزم ويقتضي كونهم ضالا من حيث ان الحال
لا يضل غيره الا اذا كان ضالا في نفسه قوله سيظهر لهم من الضال غاية الضلال لا يفيد نفي ما هو
لازم قولهم ونفي اللازم نفي للملزوم فيكون كالجواب لقولهم قوله من اضل سبيلا جملة استفهامية
معلقة ليعلمون وهي سادة مسد مفعوليه ان كان على بابه وان بمعنى يعرفون يكون سادة مسد
مفعول واحد وفيه وعيد من حيث يدل على انه لا محيص لهم عن العذاب وان تأخر وقوله لانه
عطف تفسير وكلمة ارايت يستعمل تارة للاعلام وتارة لسؤال وههنا استعملت للتعجب من
جهل من هذا وصفه ونعته قوله الهه هواه مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تاخير لاستوائهما
في التعريف فان مفعولي اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ الهه والخبر هواه لان كل

كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدم هو المبتدأ والمؤخر خبره
فيكون الهه مفعولا اول وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تاخير الا ان المصنف جعل تصدير
الكلام ارايت من اتخذ هواه الهه وقال انما قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا
زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرا الى اصل المعنى فانه لا ينكر ان المعرفتين ايهما قدم فهو المبتدأ
الا ان النظر الى جانب المعنى وملاحظة المقصود يقتضي ان يكون الهه خبرا في الاصل ويكون
المقصود من الكلام التعجب من اتخاذ الهوى الها على التشبيه البليغ كانه قيل الا تعجب ممن
جعل هواه بمنزلة الاله في التزام طاعته وعدم مخالفته اياه ولا معنى لتشبيه الاله بالهوى
ولما كان المشبه به ههنا هو الاله والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه به ان
يكون متاخرا عن المشبه كان مرتبة قوله الهه التاخر عن الهوى كما في قولك زيد الاسد
فلما قدم عليه صار زائلا عن موضعه الاصلي غير قار فيه فلهذا جعل من باب تقديم المفعول
الثاني على الاول قوله والثاني للانكار اي لست موكلا على حفظه بحفظه من اتباع هواه وعبادة
ما يهواه من دون الله ولا تقدر عليه ولا تحسب الضمائر ان اكثرهم يسمعون ما تقوله سماع تدبر او
يعقلون ما تورده من الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية ثم انه تعالى لما تعجب من جهل من اطاع
هواه وجعله بمنزلة الاله ذكر انواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المنفرد بالالوهية
فان اولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله وهو قوله تعالى
الم تر الى ربك كيف مد الظل كلمة الى مبنية على تضمين الرؤية معنى النظر وكيف منصوبة
بمد وهي معلقة لقوله الم تر وهو وان كان من رؤية القلب يجب ان يكون المنظور اليه
مما يصح ان يتعلق به الرؤية فكان اصل الكلام الم تر الى صنع ربك او الى الظل كيف
مد ربك وبسطه على وجه الارض كما في حين احدهما الا انه غير النظم الى ما عليه التنزيل
للاشعار بان مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى ماد الظل كالمشاهد المرئي لوضوح برهانه
الذي هو دلالة حدوث الظل وتغيره على الوجه النافع على كونه فعل الصانع الحكيم ثم اشار الى احتمال
ان يكون قوله الم تر من رؤية البصر بمعنى الم تعلم الا انه عدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء فقال
او لم ينته علمك اه فيكون الكلام على ظاهره لان كان من المبصرات الان تأثير قدرة الله
في تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بما ذكر من البرهان الواضح والظل
هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منبسطا على وجه الارض
فيما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ثم ان الشمس تنسخه وتزيله شيئا فشيئا الى الزوال
ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الاخير في الزايد الناسخ للضوء

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)